

وختام النبوة هي الوسيلة الالهية التاريخية الدائمة والمستمرة لتوصيل الحقيقة إلى سائر البشر، وهي تواصل الان في توصيلها القرآن وتعاليمه إلى كل عقل بشري مهمة الوحي الأولى التي تمت بتوقف الوحي، وختام النبوة ووفاء النبي العربي، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِن أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف-٢. ولذلك ورد في المأثور الفقهي الإسلامي (عربيته جزء ماهيته) أي أن عربية القرآن الكريم جزء من جوهره.

فالعربية إذن هي واسطة القرآن إلى كل عقل، وواسطته الباقية ببقائه والخالدة بخلوده، وهذه حقيقة ملزمة لكل مسلم صادق مؤمن مخلص، عربياً كان أم غير عربي، إذ لا يمكن أن يتقبل القرآن من حيث هو كتاب إلهي ويصد عنه من حيث هو قرآن عربي، فهذه الصفة الثابتة نص قرآني ملزم لإعتقاد المسلم أياً كانت لغته، وقوميته، بحيث يصدق الحكم القائل: إن مودة المسلمين للعرب من دلائل حسن إسلامهم. وكرههم للعرب مدعاة للظن في صدق ما يعلنون من إسلام، وهذه الحقيقة يؤكدها التاريخ العربي الإسلامي على ضوء التيارات الشعوبية التي بدأت بالظن في العرب، وانتهت بالزندقة في الإسلام ذاته وتشويهه، إذ كان ذلك هدفها البعيد في نهاية المطاف.

واختلاف الألوان

اردنا من هذا الاستطراد تبيان الصلة العضوية الوثقى بين الحقيقة واللغة التي تتجسد فيها تلك الحقيقة، سواء كانت حقيقة كونية إلهية أو حقيقة إنسانية قومية، من منطلق الإشارة القرآنية المتكررة بشأن صفة القرآن العربية، ومدى عمقه ومغزاها من حيث إنصباب الوحي القرآني في اللسان العربي دون سائر الألسنة. أما «اختلاف الألوان» فهو تقرير لحقيقة وجود العروق والأجناس التي يتكون منها الجنس البشري، ومن العروق والأجناس تتفرع القوميات المختلفة بألسنتها المتعددة، فكل قومية في التحليل النهائي هي جنس معين بلغة معينة، وهذا ما عنته الآية بعبارة: ﴿وَإِخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ وَالْوِلْدَانِ﴾. ويجدر بنا أن نلاحظ أن هذا الاختلاف في الآية المذكورة في سورة الروم، يوازي